تصوير التجربة الذاتية

تصوير التجربة الذاتيه

وقوع هذا النوع بين النوعين السابقين يؤدى - كما ذكر - إلى أن يعمل الخيال عملا مركبا فى اتجاهين متضادين فى نفس الوقت فهو اذ يتجه بهكيل باطنى أو بموقف محدد يسفر عن تجربة الشاعر، فان ذلك الهيكل أو الموقف يستضئ بالتفصيلات التى تتوالى، فيتم تتابع لمسات الريشه على لوحة الوجود الخارجى راسمة بالتدريج هيكلا خارجيا غير متكامل ولكنه يكتمل بالهكيل الباطنى- أو الموقف المحدد- وهذا الاخير يستضئ بالطبيعة الخارجية فتنبعث العضوية فى الصورة المتداخلة تداخل الشهيق والزفير فى نوعية الهواء واتجاه ميكانيكية التنفس- وهذا نموذج لبعض الاندلسيين.

وأين معاهد للحسن فيها ... وللأنس التقاء البهجتين
وللأوتار والأطيار فيها ... لدى الأسحار أطرب ساجعين
فكم بدر تجلى من رباها ... ومن بطحائها فى مطلعين
واغيد يرتعى من تلعيتها ... ومن ثمر القلوب بمرتعين
إذا أهوى لسوسنة يمينا ... عجبت من التقاء السوسنين
وكم يوم توشح من سناه ... ومن زهراتها فى حلتين
وراح أصيله ما بين نهر ... ودولاب يدور بسمعين
بنهر كالسماء يجول فيه ... سحائب من ظلال الدوحتين
تدرع للنواسم حين هزت ... عليه كل غصن كالرديني
ملاعب فى غرامى عند ذكرى ... صباه غصنه المتلاعبين(١)

١) النفح د: ص ١٤٤

تصبح الطبيعة رحابا لتجربة انسانية ولت، وهذه التجربة تستمد عذوبتها من مزج الجمال الطبيعى بالجمال الانسانى بتكتيك تصويرى يتحرك انعكاسا لحركة النفس الشاعرة بانفعالاتها خلال تجربتها المستعادة فنيا فى المقطوعة، بشكل مركز قد اكتسب التركيز من صوغ التجربة بعد نضجها فى العالم الداخلى متكاملة كذكرى تحلو. والموقف الذى يقدمه الشاعر هو موقف المتسائل عن معاهد التقى فيها الحسن الطبيعى بالأنس الانسانى التقاء البهجتين، وذلك هيكل الصورة فما تلك المعاهد إلابداخله وتتوالى التفصيلات لتفسر الحسن الطبيعى ملتقيا بالأنس الانسانى فى استشعار البهجتين ينبثقان عن حسن التقى بأنس، وهى تفصيلات بعضها يرسم هذه المعاهد من العالم الخارجى حسنا، وبعضها الاخر يرسم التجربة التى عاشها الشاعر فيها أنسا، ولكن الصورة الظاهرية، لاتكتمل سوية للمعاهد وإن كان قد عوض ذلك خصوصيتها بأنها - - وان كانت ككل المعاهد ذات نهر وزهر- إلا أنها شهدت قصة غرامه وصباه المتلاعبين، ولعل القافية بالمثنى أو ما كان شبيها وزنا- توحى بثنائية الخيال عملا فى هذا التصوير كما أن أينبة الروى توحى بسيطرة الموقف الذى بدأ به الشاعر على كل الصورة.

وهاك نموذج اخر يقدم الشاعر فى المطلع «الموقف» هيكلا كاملا فابن دراج يقدم لقصيدة:

لعل صنا البرق الذى اناشائم يهيم من الدنيا بمن أناهائم

ويستضئ هذا الموقف بتفصيلات تقدم ملامح البرق الخارجية انعكاسا لأحاسيس الشاعر الداخلية وكأنما ومضات البرق أسهم تتجه من الخارج مشيرة لوجدان الشاعر، وكأنما وجدان الشاعر أسهم تتجه من الداخل مشيرة إلى البرق، فالتشابه بينهما تطابق، فها هو بعد البيت السابق يقول:

أما فى حشاه من جواى مخايل أما فى فراه من جفونى مياسم
لقد برحت منه ضلوع خوافق وقد صرحت منه دموع سواجم
ونفح صبا يهفو على جنباته كتصعيد أنفاسى اذا لام لائم
وتحنان وعد صارع لمتوته كما زفرت نفسى بمن أنا كاتم

ويتصاعد الامر، حتى يكاد «يشيمه البرق الذى هو شائم» وعندما يحس الشاعر بانه رسم لوعته فى غرامه بمن هو بعيد عنه يعلن غيرته على الحبيب خلال غيرته من البرق، بعد ان استوى عاشقا لمن احب الشاعر وهو يملك القدرة دونه على زيارتها، وقد تذكر بعد ان أدرك أنه جميل فقال:

فان يسقى من اهوى فدمعى مسعد وإن يلقه دونى فأنفى راغم

ويمضى فى سرد تجربته مع هذا الحبيب فى كنف الطبيعة فالحبيب عندما يقدم تحدث حركته صوتا ترددده الحمائم.

وبشرنى من قبله صوت حليه تجاوبه فوق الغصون الحمائم
إلى ملتقى قلبين ضم عليهما جوانحه جنح من الليل عاتم

ويستمر حتى يذوب هو وحبيبه ويصبحان جزءا ملتحما مشتقا من الطبيعة.

وامتزاج الشاعر بالطبيعه من سمات هذا التصوير، يشده منها مايذكره

بتجربة ما ولعل النمـوذجين التاليين يعرضان لهذا الامتـزاج بما يذكر بالتجارب فاحمد بن فرج يقول:

وربت ريـح امـتـــزجت بـنفـــسى مـــــــــزاج المـاء بـالـراح الـزلال
وجـــدت لهـــا وبى للشـــوق مـــا بى كـــمـــا وجـــد المهـــجـــر بـالظلال
وبات ثـرى العـــقـــيق ينـم عنهـــا إلى- بمـثل أنـفـــــاس الـغـــــوالى

ويستخـدم الشاعر الالتفـات لتغييـر الإيقاع الموسيقى من نبـرات النشوة المتنوعة الدقات السريعة الاهتزاز إلى نبرات الحزن الهادئ الرتيب الدقات البطئ الاهتزازات.